# المقالة الثالثة[1]
# عمق الانتماء في جهة الولاء

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وبعد:

فإن الله تعالىٰ الذي خلق الكائنات بنظامها البديع، حتىٰ جعل من كل كائن حي مهما صغر حجمه أو كبر وحدة متكاملة، ـ يرتبط جميع أجزائها بعضها ببعض، لتصبح قادرة علىٰ تحقيق مصالحها ودرء المفاسد عن نفسها، حتىٰ تستوفي أجلها المحدد لها في علم الله تعالىٰ، وأودع جميع المشاعر والأحاسيس في كل أنحاء البدن الناشئة عما يطرأ عليه من خارجه وعمّا يدور فيه من داخله فيما يسمىٰ بالدماغ الذي هو بمثابة الضابط والرابط والمحرك والموزع للأوامر إلىٰ الأجهزة الإدارية في البدن كي يتصرف بما يتناسب مع الحدث حتىٰ يتمّ له الحفظ والحماية، ولا يمكن أن يتمّ هذا التفاعل والانفعال في هذا الجهاز إلا إذا كان الدماغ مصيرياً بحيث يصيبه ما أصاب البدن من سعادة أو شقاء فلا يمكنه الانفصال عنه بحال من

---

(١) شهر ربيع الأول سنة ١٤١٤ هـ.

الأحوال لأنه عمدة حياته ومحل الارتكاز في كيانه.

فالرأس الذي يشتمل علىٰ الدماغ في جملة ما فيه من أجهزة مرتبطة بالبدن ارتباطاً محكماً بحيث ينعدم كيان هذا المخلوق ويفسد فور انفصاله عنه ولا يمكن استبداله برأس من جسد آخر لأن تركيبته العضوية تحول دون أن يتقبل التفاعل مع الرأس الطارىء عليه وبالتالي لا يمكن أن يتفاعل هذا الرأس مع سائر أجزاء البدن لوجود التباين في هذه الحالة بين الرأس والجسد فلا يتحقّق فيه الانسجام ولا تدب فيه الروح كما هو معروف في علم الطب التشريحي الحديث، وحين أجريت محاولة في الولايات المتحدة الأمريكية مؤخراً لنقل رأس إنسان إلىٰ شخص آخر لم يستجب الجسم للرأس الجديد ولا أمكن لهذا الرأس أن يتفاعل وينسجم مع هذا الجسم الجديد أيضاً وبالتالي بقي البدن بلا حراك ولا شعور ثم لم يلبث أن تلف وفارق الحياة.

إنّ هذا النظام ذاته موجود في الجسم الجماعي البشري تماماً بتمام فلا بدّ وأن يكون مرجع الأمّة له امتداد عقائدي عميق في دين الأمّة حتىٰ تسري فيه الحياة وتتحصل فيه عملية التفاعل والانسجام مع سائر أعضاء هذا الجسم فيدير مصالحه بما يكفل له السلامة والأمن والعطاء ويدفع عنه الضرر والخطر والمنع المفضي في النهاية إلىٰ

هزاله ثم موته واندثاره، لأنه لا يغار عليه تمام الغيرة إلا أن يكون هو من ذات البدن ويغار كل من الجزأين علىٰ الآخر لأن بقاءه واستمراره مرهون بوجودهما معاً فيتوحد المصير وتنسجم الحركة.

ومن هنا لم يرسل الله تعالىٰ نبياً لقيادة أمّته إلاّ من ذات الأمّة المدعوة **﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه﴾**[1] **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**[2] **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾**[3].

ومن هنا أيضاً حرّم الشرع الخروج علىٰ الحاكم إلاّ أن يأتي من الأقوال والأفعال والاعتقادات ما يخرجه عن الدين ففي الحديث عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وعلىٰ أثرة علينا وعلىٰ أن لا ننازع الأمر أهله إلاّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٤.

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٨.

(٣) سورة الجمعة: آية ٢.

(٤) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٩١. كتاب الإمارة باب البيعة على السمع والطاعة، رقم الحديث ١٢٢١.

ولهذا كان لا بدّ وأن يعرف عن مرجع الأمّة عمق انتمائه وارتباطه بالأمّة التي يقودها حتىٰ يتفاعل معها ويغار عليها لأن المصير واحد في الخير والشرّ. وبالله التوفيق.

obeikandl.com